



AMERICAN
UNIVERSITY
OF BEIRUT

خطاب التخرج للعام 2024
الرئيس فضلو خوري

أنشودة للفشل

تحياتي، أصحاب السعادة، وأعضاء مجلس الأمناء، وأعضاء الهيئة التعليمية، والموظفون، والإداريون، والخريجون، والأصدقاء، وأولياء الأمور، وبالأخص خريجو العام 2024 المتميزون. أهلاً بكم في تخرجكم اليوم، وإذ نحفل بإنجازاتكم العديدة، أود أن أركز على مناقشة أهمية الفشل وكيف يساعد في دفعنا إلى الأمام نحو نجاح أكبر. ليس فقط بالمراقبة أو الاختبار، ولكن للتعلم منه والاحتفال.

الإغريق القدماء تقبلوا الفشل. احتفلوا به. احتفوا به. فكروا في افتتاحية الإلياذة:

"غنّ لي ياربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التي ألحقت بالأخيين(*) مأسى تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الأخر (هاديس) (**). بأرواح الكثيرين من المقاتلين البواسل، بينما
جعلت من أجسادهم لقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح
- وهكذا تحققت مشيئة زيوس. غنّ ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين (أجاممنون)،
ملك الرجال، ابن أتريوس، وبين أخيليوس شبيه الكلهة (***)
من من بين الآلهة هو ذلك الذي دفع بهذين الاثنين إلى
الصراع فيما بينهما؟ إنه (أبوللون) بن ليتو وزيوس. فهو الذي
أدى غضبه إلى انتشار الطاعون المشؤم بين صفوف المقاتلين
وإلى هلاك الرجال"

هذا فشل على نطاق أسطوري. الخلاف بين أخيل وأغاممنون هو فشل هائل للقيادة والاتزان من جانبيهما، حيث لقي عشرات اليونانيين حتفهم بسبب نزاع شرف على امرأة. نقّاد أميركيون معاصرون لكانوا أطلقوا على هذا النزاع لقب "أم كل الإخفاقات" وهو يحتلّ جزءاً كبيراً من حبكة ومدى أول قصيدة ملحمية عظيمة في الشعر الغربي. ومع ذلك، فإن البطل النهائي للإلياذة هو ليس أغاممنون القاهر ولا أوديسيوس الماكر الذي ابتكر حسان طروادة. بل هو أخيل العظيم، وعلى الرغم من كل براعته الأسطورية، وقع ضحية لغضبه المتدقّق وحكمته الرديئة. إن عيب أخيل القاتل يكمن في عدم قدرته على التعلّم من إخفاقاته السابقة، وهذه ميزة للبطل المأساوي من هوميروس إلى شكسبير فالى الوقت الحاضر. عرّف الإغريق هذا الفشل في الحكمة، هذا الافتقار إلى القدرة على التعلّم من أخطاء المرء، على أنه غطرسة.

أبناء الحضارات الأوروبية القديمة لم يكونوا أبداً الوحيدين الذين احتفلوا بالفشل والخسارة. أعظم الشعر العربي قبل الإسلام تضمن شعر الرثاء. ومن هنا جاءت أبيات امرؤ القيس الخالدة،

1-Stop, my friends, and we will weep over the memory of a loved one

And an abode at the dune's edge of Siqt al-liwā, between al Dakhūl, then Hawmal,

2-Then Tūdiḥ, then al-Miqrāt, whose trace was not effaced
By the two winds weaving over it from south and north.

4-On the morning when they loaded the camels to depart,
before the tribe's acacia trees,
I wept splitting bitter colocynth.

5-My friends stopped their mounts there over me and said:
"Don't die of grief, control yourself!"

44-Many a night like the billowing sea let down its veils over me
with all kinds of cares to torment me.

45-Then I said to it when, like a huge camel, it stretched out its spine

Then raised its haunches and heaved its ponderous chest

46-*O long night, will you not dispel to reveal the dawn?

Though the dawning day will be no better for me!

يستهلّ امرؤ القيس قصيدته مخاطباً رفيقيه، ويطلب منهما الوقوف والبكاء معه في ذكرى والده المقتول ومملكته الضائعة - مملكة أصبحت خراباً، تهبُّ عليها رياح الجنوب ورياح الشمال وتمحو آثارها. ويروي كيف أقامت الطباء والغزلان في مكان الأشخاص الذين تخلوا عن المملكة. رفيقاه يعزّيانه ويدعوانه للصبر حتى لا يهلك من الحزن. ثم يصف معاناته خلال الليالي الطويلة المظلمة، والتي لا يهدأ عذابها حتى مع نهاية الليل وانبلاج فجر النهار.

إن رثاء الشاعر الكبير لفقدان منزل وإرث وحبیب يمهد للمرحلة التالية من مناسبات الإحياء العربي لذكرى الكارثة. إحدى أهم هذه المناسبات كانت بعد معركة أجد، حيث تكذب النبي محمد وأتباعه خسائر فادحة بشكل استثنائي. وفي مقال نُشر مؤخراً، وصفت البروفسورة نادية الشيخ كيف ساعدت الهزيمة في هذه المعركة في تحديد المفاهيم والممارسات المركزية للمفهوم الإسلامي الناشئ للأمة - الأمة ومتطلبات سلوكها. إن الانتقام الذي لحق بأتباع محمد في معركة أجد متطرف للغاية، ووحشي للغاية، لدرجة أنه يذكر بالمذبحة التي ارتكبها أخيل على الطرواديين بعد وفاة رفيقه باتروكلوس. ومع ذلك، فإن الفشل في توقع انتقام بني قريش من المسلمين أدى إلى تأثير معاكس: ضبط النفس على مدى الانتقام الذي يمكن تنفيذه. وهذا في المحصلة، مثال على التعلم من الفشل، ومن الصعب المبالغة في تقدير تأثيره على المعنويات والانضباط في الروح العسكرية الإسلامية.

إن الإخفاقات الملحمية، مثل معركة أجد وفي ملحمة الإلياذة، تستمر حتى يومنا هذا ويمكن العثور عليها في ماضينا القريب. في العام 1948 صاغ البروفسور البارز في الجامعة الأميركية في بيروت قسطنطين زريق عبارة النكبة لوصف الكارثة التي لحقت بالفلسطينيين عندما فشلت الدول العربية في حماية الشعب الفلسطيني والحفاظ عليه في وطنه وفشلت القوى الغربية في منع الدولة الإسرائيلية الوليدة من تنفيذ هذا التطهير العرقي والسرقة الجماعية للأراضي. تنبأ البروفسور زريق بأن السلام سوف يغيب عن المنطقة بأسرها طالما أن حقوق الشعب الفلسطيني لم تتحقق وهذا التنبؤ يقض مضجع منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا حيث تستمر النكبة في التحويم بشكل مقلق فوق بلاد المشرق،

وبدرجة أقل، فوق العالم العربي بأسره. إن الحرب اللاإنسانية على غزة التي نشهدها ليست سوى أحدث نتيجة مأساوية لهذا الفشل العرمرمي.

لقد كانت المسألة الفلسطينية ركناً أساسياً لتجربتنا المشتركة في الجامعة الأميركية في بيروت. إن الفشل في معالجتها، ناهيك عن حلها بشكل عادل وإنساني، يُثقل الأراضى التي يأتي منها طلابنا، كما توقع البروفسور زريق. ولكن الآن، أصبحت هذه المسألة الوجودية للشباب في جميع أنحاء العالم. إنهم يرفضون الموافقة على استمرار هذا الظلم المستديم، الذي تتجاهله القوى الغربية منذ ما يقرب من قرن. لا يمكن لأي قدر من الاستعلاء أو الإكراه أن يرمي هذه القضية في غياهب النسيان. وأنا واثق من أن هذا الجيل الشاب سيمكّن الفلسطينيين، مثل الأميركيين من أصول أفريقية قبل خمسة عقود والجنوب أفريقيين بعد عشرين عاماً على ذلك، من ترداد كلمات الراحل مارتن لوثر كينغ جونيور "أحراراً أخيراً. أحراراً أخيراً. الحمد لله عزّ وجل. نحن أحراراً أخيراً."

إن فشل الشعوب والدول الأوطان والعدل والفرص للجميع يرسم مساراتنا تاريخياً. إنه فشل الرجال والقادة والرؤى الكبرى وتطبيقاتها البائسة. ولكن في بذور هذه الإخفاقات، يمكننا أن نلمح النواة المختبئة جيداً والتي سوف تنمو ذات يوم، وتضيء الطريق نحو التقدم العادل.

وكما كتب ألبير كامو: "في منتصف الشتاء، وجدت، في داخلي، صيفاً لا يُفهر. وهذا يجعلني سعيداً. فهذا يعني أنه بغض النظر عن مدى قوة دفع العالم ضدي، فإن في داخلي شيئاً أقوى - شيئاً أفضل، يقاومه."

إن صيف كامو الذي لا يُفهر وُلد في الواقع وسط تجارب الشتاء ومحبه. هذه هي الحقيقة التي تشاركوها أنتم يا خريجين مع مكرّمينا الثلاثة بالدكتوراه الفخرية. حتى الآن، لقد أتاحت الفرصة لكل واحد منكم لتجربة شيء يتجاوز قدرته، وليسعى بكل إخلاص ولكن ليفشل. ومن خلال التصالح مع "إخفاقاتكم"، تعلمتم دروساً تحدّد من أنتم، حتى عندما لا تنجحون أبداً في تسلق هذا الجبل بالذات.

يمكنني بالتأكيد أن أشارككم شعوركم. رُفضت جميع طلباتي للحصول على برامج تدريبية ومنح وأوراق، ورُفضت تكراراً التماساتي للترشيحات والجوائز والمقترحات والخطط. كل هزيمة كانت مؤلمة ومُضعفة، حتى في بعض الأحيان مُحبطة. لكن هذه الإخفاقات، كما إخفاقاتكم، جعلتني كما جعلتكم إخفاقاتكم، أفضل بكثير. مثلكم، مثل مكرّمينا وأعضاء مجلس أمنائنا الرائعين، تعلمت من الهزيمة وخيبة الأمل وتبدّد الأوهام أن أخرج في "صيف لا يقهر"، أقوى وأكثر عزمًا وأوسع حكمة بفضل تلك التجارب.

لذلك، يا خريجي العام 2024، احتفلوا بالنجاحات التي حققتوها بتخرجكم اليوم من الجامعة الأميركية في بيروت واثقين من أن كل زلّة كانت في نهاية المطاف خطوة إلى الأمام في رحلتنا المشتركة نحو حياة أفضل للجميع، نحو تشكيل مجتمع يمكن ويجب فيه جعل كل حياة أكثر فائدة وأكثر وفرة.

وفي الختام، أتقدم إلى كل واحد منكم وإلى عائلاتكم بتهانئي العميقة. أطلب منكم أن تنغمسوا في مشاهدة هذا الفيديو الذي تبلغ مدته 33 ثانية عن فشل مايكل جوردان. إنه بطل عظيم ومنافس شرس، لكن إخفاقات جوردان المتكررة، عندما كانت مؤثرة، والدروس التي استخلصها منها شكّنت طريقه إلى النجاح الرياضي الدائم.

يجب أن يكون هذا أيضاً طريقنا. النجاح بعد جهد، والنجاح النهائي في المجتمع، أكثر جزاءً بعد الفشل مراراً وتكراراً. هذه إذن هي مهمتي الأخيرة لكم يا خريجي العام 2024، انطلقوا وافشلوا بقوة، وليس على مضض أو بخجل. إفشلوا بكل قلبكم، وتعلموا من تلك الإخفاقات. أن نجاحاتكم ستدفع أسركم ومجتمعاتكم وأوطانكم يوماً ما إلى الأمام نحو مستقبل أفضل وأكثر استدامة واشتمالية. شكراً لكم وتهانينا.